

الفصل الثانى

الكتب المدرسية وتشويهه متعمد للرب والمسلمين

يقولون: إن التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر.. ويبدو أن الساسة فى إسرائيل يقصدون هذا المثل الشائع.. فعلى ذاكرة أطفالهم يتفنون النقش بإزميل من الحقد.. يبذرون الكراهية والعنف لكل ما هو عربى..

فمنذ قيام الدولة العبرية وحتى الآن والكتب المدرسية الإسرائيلية هى الأداة المفضلة والمثل لتعميق الصراع وتشويه صورة العرب والتطاول على الإسلام ومقدساته. تفعل إسرائيل ذلك فى الوقت الذى تدعى فيه أن السلام لا تضمنه معاهدات وحواظ بطاريات الصواريخ ومحطات الإنذار المبكر، وإنما تضمنه تسكين السلام ذاته فى عقول الشعوب العربية. أما الواقع فهو ما تعكسه مناهجها الدراسية- فالتحريض واضح ومفوض والعنصرية فيها لا تخطؤه أى عين.

الغريب أن تعلق الأصوات الإسرائيلية محرضة على التدخل فى برامج التعليم والتربية العربية والمطالبة بإزالة كل ما يمكن أن يكون مضاداً لمفاهيم السلام. هكذا هو منطقهم دائماً إباحة لأنفسهم ما يحرمونه على الآخرين، ارتكاب الجرائم وإصاقها بالأبرياء.. ارتكاب المذابح ثم غسل الأيدي من دماء ضحاياها وكأن شيئاً لم يكن. لذلك فليس غريباً أن تزخر الكتب المدرسية التى يتلقفها التلاميذ الإسرائيليون فى مراحل التعليم المختلفة بسموم الفكر الصهيونى العنصرى.

ويظهر ذلك بشكل واضح فى كتب التاريخ والجغرافيا والأدب التى أطلق عليها الشاعر الفلسطينى الراحل معين بسيسو «أدب الحلوى المسمومة» حيث يعبر عن وجهة نظر أحادية الجانب هى وجهة نظر المؤسسة العسكرية الإسرائيلية^(١). وفى غالبية كتب التدريس لا يزال اليهودى يوصف بأنه طالب الحضارة، فى مقابل وصف العربى بأنه البدائى المتخلف.

(١) أسطورة التكوين- الثقافة الإسرائيلية الملققة- أنطوان شلحت.

على سبيل المثال جاء في كتاب ديرخ هميليم «عن طريق الكلمات» والذي يدرس عند تلاميذ الصف الرابع.

[جاء الطلابيون لحرثة أرضهم بسلام وطمأنينة، لكن جيرانهم العرب لم يعجبهم ذلك وحاولوا طردهم من أرضهم وقاموا بحرق الحقول وسرقة الأبقار والمواشى والحاق الأذى بأعضاء المجموعة].

أما قصة «خريف أخضر» فتحكي عن أسير عربي متقدم فى السن وقع فى أيدي الجنود اليهود، وتظهره على حالة كبيرة من الضعف والنذل والمهانة.

فجاء على لسان الجندى الإسرائيلي يصف حالة العربي الأسير [لقد نفذ كل ما أمرته به، أحشر الماء، كما قام بمهمات مختلفة كنت أكلفه بها، وكان يعود فى كل مرة كالكلب العائد إلى كوخه].

وتنتهى القصة باستخدام الجنود اليهود للأسير مع كلاب الأتغام لينفجر به لغم، فيقوم الجنود اليهود بإحراق جثته^(١).

ويشير نص آخر ورد فى كتاب «أرض الوطن» أن العرب «لصوص - متوحشون» لتأكيد الرقى اليهودى فى مقابل التدنى العربى فجاء فيه:

[جماعة (الحارس) دافعوا عن المستوطنات ضد المتوحشين واللصوص العرب كان أعضاء (الحارس) من الصقوة وكان العرب ينظرون إليهم بهيبة، لقد تعلم العرب منهم طريقة ارتداء ملابسهم^(٢).

وهنا يصف النص العرب أصحاب الأرض الحقيقيين بالمتوحشين واللصوص ويتم تشويه صورة العربي أمام التلميذ الإسرائيلى مقابل تأكيد صورة اليهودى الذى يمثل الصقوة والمتسم برقى زيه وملبسه الذى يشير النص إلى محاولة العرب الاقتداء به^(٣).

وفى نص آخر من كتاب «أرض الوطن» يتم تصوير العرب (كبذو) للدلالة على الفقر الحضارى إليهم فى مقابل التقدم والازدهار الحضارى فى دولة إسرائيل فجاء فيه [مرت سنوات قليلة وأبناء مستوطنة (بتاح تكفا) رأوا شاباً ممسكاً بعصاة بيديه يركض عشية السبت طالباً مساعدة الفلاحين الذين كانوا وقتئذ يقنازعون مع العرب على حدود وادى العسل الذى ترتبط حدوده بحقليهما، كان عدد الفلاحين حوالى خمسة غير مسلحين وكان يهودا راف القائم بالحراسة،

(١) جريدة الوطن ٦ نوفمبر ٢٠٠٦.

(٢) د. صفا عبد العال - تربية العنصرية فى المناهج الإسرائيلىة.

(٣) د. صفا عبد العال - المرجع السابق.

يحمل مسدساً، لكن اهتزت يدها فانطلقت الطلقة الأولى وشعر الشاب باضطراب وسقط ولم يدر بما حوله، تحطم عكازه، أمسك بعكاز آخر ولوح به، وفجأة انطلقت في الهواء طلقة أصابت يده اليسرى على الفور.

سقط الشاب على الأرض، وبينما كان لا يزال ممدداً رأى أن من أطلق عليه الرصاصة من البندقية رجل عجوز وجهه مكفهف وبندقيته محشوة بالرصاص، وما لبث الشاب أن أمن النظر فوجد بدوياً عابس الوجه، ألقى على الشاب اليهودى عباءته وصاح العجوز: واحسرتاه أنتم أبناء الجيش هل ستكثرون موضع السخرية، إننى رأيت جندياً منكم مع شاب بمفردهما فى الحقل].

وتدور القصة حول شخصيتين إحداهما شخصية البدوى العجوز وشخصية الفتى اليهودى بما يملكه من قوة، وما يتميز به من شخصية مسالمة فى مقابل العربى اليهودى المتخلف والمتميز بالدموية والعنف، وتلك صورة تتكرر فى كثير من كتب التعليم الإسرائيلى.

وتزخر الكتب المدرسية بأقوال زعمائهم «التي تكشف بوقاحة مسيرة دولتهم وأيديولوجيتها العنصرية الفاشية منذ إنشائها.. منها مقولة بن جورويون «إنه يمكن وضع القانون جانبا والاعتراف بما يصنعه اليهود، ويضيف إسحق شامير إلى ذلك نصيحة فنلتفت إلى معتقداتنا نحن حيث الأخلاق والتقاليد اليهودية تنبذ الإرهاب بوصفه وسيلة قتالية فى مجرى الصراع، لذا فنحن بعيدون كل البعد عن تأنيب الضمير إزاء استخدامنا وسائل الإرهاب، وقبلهم يقول هرتزل أحد المؤسسين العتاة للحركة الصهيونية إن التأخى العام بين الناس لا يعتبر شيئاً جميلاً، فالعدو شرط ضرورى لأرفع مجهودات الإنسان وأسماها، إن الإنسان الذى يخترع مادة شديدة الانفجار يعمل لأجل السلام أكثر من ألف داعية إلى اللطف والرفق واللين»^(١).

وما تزال تربية العنصرية وتجلياتها المصاحبة لها من دعاوى الشعب الله المختر والهجج التوراتية مقترنة بالتفسيرات الأسطورية مهيمنة على العقلية الإسرائيلىة قادة وشعباً، وثمة حرص كل الحرص على ترسيخها للأجيال المتعاقبة من أبناء إسرائيل وبناتها، من خلال مختلف وسائط التنشئة والإعداد للمواطن الإسرائيلى، ومن أهم وأخطر تلك الوسائط النظام التعليمى وإمكاناته فى صيغ مناهجه وكتبه المدرسية، بما يحقق اتجاهات تلك الأيديولوجية العنصرية فكراً ووجداناً وسلوكاً، ويتجلى هنا بخاصة نحو الأمة العربية بزعم أنها تهدد كيان إسرائيل وأمنها، وتتغلغل تلك الأيديولوجية فى مختلف مراحل التعليم من رياض الأطفال إلى الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث^(٢).

(١) د. حامد عامر: توطئة لكتاب تربية العنصرية فى المناهج الإسرائيلىة «صفا محمود عبد العال».

(٢) د. حامد عامر: مرجع سابق.

ويكاد يكون من المسلمات التأكيد على الصيغة السياسية في نظام التعليم الإسرائيلي. إنها لأداة قاطعة في التكوين السياسى والتعبئة الأيديولوجية لكل ما تعج به مقولات قادة إسرائيل منذ قيام دولتها عام ١٩٤٨ حتى اليوم، وليس فى المنظور القريب أو البعيد التخلّى عن عقائدها العنصرية خاصة فيما يتصل بنظرتها أو علاقتها مع العالم العربى، ومن ثم يتضح بطلان الزعم الإسرائيلى برغبته فى إقامة السلام العادل والشامل فى الشرق الأوسط^(١).

ونصوص الكتب المدرسية ما هى إلا ترجمة لكل المزاعم المرتبطة بالحفاظ على أمن إسرائيل بشعار (السلام المسلح) و(شعار القوة فوق الحق) وبمفاهيم الحزام الأمنى وإقامة الجدار العازل. وأن حدود إسرائيل - كما يزعم قادتها هى (حيث يشعر جنودها بالأمان)، وحيث إن التعليم - فى أى وطن هو صلب البنيان الاجتماعى، فقد نظر إليه فى إسرائيل كقوة داعمة وحاكمة تعمل على توجيه العقول، كما تعمل على تغذية هذه العقول بمبادئ التربية الصهيونية بما يشكل نوعاً من الضمان والأمان فى تحقيقها الولاء المطلق للدولة، وخلق حالة من حرية الانتقام الفورى والعنيف، من كل من يناهض هذه الأيديولوجية الصهيونية العنصرية من الغير أو كل من قد يشكل عائقاً أمام تحقيق غاية إسرائيل الكبرى^(٢).

ومن بين المهمات الرئيسية لنظام التعليم فى إسرائيل، السعى إلى زراعة بذور الخوف من الآخرين - فى عقول النشء وترسيخ عناصر الكراهية والحقد فى وجدانهم، ويعد ذلك من الآليات التربوية المهمة فى تشكيل بنية التوظيف الاجتماعى للمؤسسات الاستيطانية فى إسرائيل بشكل عام^(٣). والشاهد أن ما تهدف إليه الحركة الصهيونية فى مجال التعليم هو خلق وتنمية روح العداء للعرب وتشويه صورتهم لدى الجيل الإسرائيلى الحالى والأجيال التالية، وتعد المناهج الدراسية هى الوسيلة المثالية التى تساعد المؤسسات الصهيونية فى تحقيق ما تبتغيه^(٤).

فالأهداف التى تسعى إسرائيل إلى تحقيقها من خلال صياغة المناهج الدراسية هى تنمية الوعى اليهودى الإسرائيلى لدى النشء والشباب وغرس المبادئ الصهيونية فى نفوسهم. بغض النظر عن هذه الأهداف أو المفاهيم أو الاتجاهات متوافقة أو متعارضة مع دور التربية كعنصر أساسى يعمل على نشر التعاون والتفاهم والمحبة أو المساعدة على الوصول إلى سلام عادل^(٥).

(١) د. حامد عمار: مرجع سابق.

(٢) د. حامد عمار: مرجع سابق.

(٣) د. صفا: مرجع سابق.

(٤) د. صفا: مرجع سابق.

(٥) د. صفا: مرجع سابق.

ومن الواضح أن من بين الأسس التي تعتمدها الصهيونية في تربية الناشئة الإسرائيليين تشويه الدعوة والفتوحات الإسلامية في الكتب المقررة التي يصدرها مركز المناهج التعليمية بوزارة المعارف الإسرائيلية، من هذه الكتب^(١):

١- سلسلة كتب (شعب إسرائيل) المقرر للصف السابع.

٢- كتاب دروس في التاريخ.

٣- كتاب «هذا وطني» المقرر على الصف الخامس.

٤- كتاب جغرافية أرض إسرائيل الطبيعية والاقتصادية المقرر على المدارس الثانوية ومعاهد المعلمين.

٥- كتاب الجغرافيا للصف الخامس.

٦- كتاب دولة إسرائيل وانتشارها في عصرنا.

٧- كتاب الأقليات في إسرائيل (المسلمون- المسيحيون- اليهائيون).

وأيضاً كتاب اليهودية بين المسيحية والإسلام الصادر عن وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية والمقرر على الصف السابع الابتدائي وفيه:

[إن التعاليم التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية أوجدت وأيقظت قلقاً عميقاً في القلوب، لقد قاد محمد حرب إبادة لجميع الشعوب والقبائل التي لم تتقبل تعاليمه، فأباد قسماً كبيراً من اليهود في الجزيرة العربية].

تزوير للتاريخ وتشويه للإسلام ورسوله، ولا أحد يحاسبهم على ذلك، وفي المقابل فإن أى مساس بإسرائيل- وليست اليهودية- وأى انتقاد يوجه لها يقابله على الفور إشهار سلاح معادة السامية الجاهز للدفاع الأعمى عن الدولة العبرية.

لا أحد يجرؤ على انتقاد الطفل المدلل للإمبراطورية الأمريكية، لا أحد يجرؤ على مطالبتهم بتنقية كتبهم المدرسية من العنصرية، وحثهم على نشر ثقافة السلام، ونبذ العنف والاستعلاء.

هل قرأ أحدهم ما ورد في كتاب «إسرائيل والشعوب» للمؤلفين يعقوب كاتس وموشيه هرشكو والصادر عن وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية، والذي جاء في الصفحة (١٨) فيه:

[إن العرب أفراد أو جماعات هم مجرد قبائل رحل يقيمون في الصحراء، يعتمدون في رزقهم على النهب والأشغال الوضيعة]^(٢).

وفي نفس الكتاب في ص ١٩:

(١) د. خليل السواحري- خليل سمعان: مرجع سابق.

(٢) د. خليل السواحري- خليل سمعان: مرجع سابق.

[إن النبي محمداً بذل جهداً مضمياً لمطابقة دينه مع العادات اليهودية، فقد أمر أتباعه بصوم يوم الغفران، والتوجه في الصلاة نحو القدس، ومع كل هذا كان أبناء اليهودية يعرفون أن دينه يختلف عن دين اليهود في كل تفاصيله، لذلك رفض اليهود التخلي عن عقيدتهم فسخرُوا منه بسبب ضآلة معرفته بشئون التوراة والوصايا، وعندما أدرك محمد أن اليهود لن ينجذبوا إلى عقيدته، قرر أن يفرض عليهم قبول دينه عنوة أو طردهم من المدن التي يقطنونها وحين أدرك أن اليهود لن يستجيبوا له بالانضمام إلى دينه توقف عن محاكاتهم وتقليدهم، ومن ثم تقرر توجيه المسلمين أثناء الصلاة نحو مكة، وبدلاً من أن يقوم أتباعه بصوم يوم الغفران، فرض عليهم صيام شهر رمضان، كما أن موعد صلاة الجماعة تحول من السبت إلى الجمعة^(١).

وجاء في كتاب الجغرافيا للصف الخامس، تأليف د. كيظوف وى أرني: [وبقوة السيف أجبر العرب الشعوب المغلوبة على القبول بدين محمد فلم يكونوا ليعرفوا الشفقة في الحرب، فقد فنيت قبائل كبيرة على أن تقبل بالدين الإسلامي].

وهكذا تروج كتبهم الأكاذيب والدعاوى المغرضة حول انتشار الإسلام بحد السيف، وتشوه صورة نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فتصفه بالعنف والوحشية، فمن أحق بالمطالبة باحترام حرية الآخر وعقيدته!!

ولا تقتصر بالطبع عمليات التشويه والتزييف على الحقائق الدينية، لكنها تركز أيضاً على الوقائع التاريخية، فتتعمد التأكيد على حق اليهود في فلسطين، وإنكار أي حق للشعب العربي الفلسطيني فيها.

فعلى سبيل المثال نجد كتاب د. مناحيم كيدم موجز تاريخ الصهيونية، لا يأتي على ذكر شعب فلسطين على الإطلاق، ولم يعترف بفلسطين كحيز جغرافي وتاريخي له صلة بالتاريخ الحضاري الإنساني الذي يعود لأكثر من ٣٢٥٠ عاماً وقبلها إلى أكثر من خمسة آلاف عام، حين كانت تدعى أرض كنعان، وحين كانت مدينة القدس عاصمة لليبوسيين، وتدعى يبوس، وملكها يطلق عليه «شليم» وكلمة أروشلیم (مدينة السلام) حملت اسم ملكها (ملكي صادق) ملك البر والعدل^(٢).

ولم يكتف مؤلف كتاب «القرن العشرون - قرن تغيير أنظمة العالم» بإنكار حق الفلسطينيين في الوجود على أرض فلسطين، بل ذهب إلى ما هو أبعد حيث اعتبرهم مجرد طائفة^(٣).

(١) د. خليل السواحري - خليل سمعان: مرجع سابق.

(٢) د. خليل السواحري - خليل سمعان: مرجع سابق.

(٣) د. خليل السواحري - خليل سمعان: مرجع سابق.

فورد في صفحة ١٩٩ من الكتاب :

[الفلسطينيون هم طائفة عربية تشكل أغلبية في أرض إسرائيل، فعرب أرض إسرائيل مثل العالم العربي كله، كانوا مجتمعاً تقليدياً، ومصطلح القومية لم يصل إليهم بشكل عام، لهذا لم تتطور عندهم مؤسسات قيادة أو بنية أساسية تحتية ونظام تعليمي تربوي يساهم في بلورة الوعي القومي].
طبيعي والوضع في المناهج الدراسية الإسرائيلية على هذا النحو أن يتم تصوير المقاومة العربية باعتبارها عملاً وحشياً بربرياً^(١).

وهو بالضبط ما جاء في العديد من كتبهم منها كتاب «القرن العشرين» والذي جاء فيه :
[إن العرب شنوا هجمات بربرية وقاموا بأعمال تخريبية ضد المستوطنات اليهودية في الجليل الأعلى، كما تم تصوير الحركة الوطنية الفلسطينية بأنها مؤسسة قائمة على أعمال تخريبية].
ولم يسلم الجندي العربي بالطبع من السخرية والازدراء فقد وصفه (إريال بارنا فيه) في كتابه بأنه لا هدف له سوى خدمة أسياده، ففي الجيوش العربية القادة والجنود ينتمون إلى عوالم مختلفة، الفلاح المصري أو العراقي وجد زعماءه وأسياده في الجيش بثياب ضابط، وعيه السياسي متدن، ظروف حياته صعبة وكرامته مداسة، فلماذا يقدم حياته في قضية خاسرة.

ويتفنن المسؤولون عن التعليم في المدارس الإسرائيلية على تطوير الدولة العبرية على أنها ضحية، ومن ثم يتم تبرير كل ما ترتكبه من جرائم في حق الشعب الفلسطيني.
وأحد وسائلهم في ذلك هو إنكار الصراع حول الأرض وأطماع الصهيونية للاستيلاء عليها ونهبها، والادعاء بأن الحكومة الإسرائيلية اشترت أرضاً دون أي إثبات موثق، في محاولة لإبعاد الطالب الإسرائيلي عن مصطلح «مصادرة الأرض» حتى لا يتساءل... أرض من صودرت، ومن هم أصحابها؟ ومن الذي صادرها الدولة أو الأفراد؟^(٢).

وتزخر الكتب المدرسية أيضاً بكل صور العنصرية والاستعلاء والتأكيد على أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن سائر الشعوب غرباء^(٣).

فجاء في الكتاب المدرسي «الأرض القديمة الجديدة» [اليهود وحدهم يمنحون السعادة للعرب، لا يوجد منظر بائس وكئيب ومثير للشفقة كمنظر قرية عربية في فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر].

كما ورد في كتاب «إسرائيل في العصور الأخيرة» :

(١) د. خليل السواحري- خليل سمعان: مرجع سابق.

(٢) د. خليل السواحري- خليل سمعان: مرجع سابق.

(٣) د. خليل السواحري- خليل سمعان: مرجع سابق.

على رغم أن المواطنين العرب أظهروا بشكل عام إخلاصاً لإسرائيل إلا أن اليهود لم يثقوا بالمواطنين العرب، وذلك بسبب اكتشاف حالات من التجسس في صفوفهم لصالح الاستخبارات المصرية والسورية والأردنية، وهناك سبب آخر وهو الصعوبات الناجمة عن الفوارق التراثية والحضارية وأنماط الحياة^(١).

ودأبت كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية على إنكار الحقائق التاريخية المتعلقة بأحداث ٤٨ وتبعاتها الخطيرة على الفلسطينيين، فورد في كتاب تاريخ إسرائيل.

العرب- والمقصود بهم الفلسطينيون تحولوا إلى مواطنين في دولة أقيمت على قاعدة اقتلاعهم، ولأن الدولة أقيمت كدولة خاصة بالشعب اليهودي، فقد ظهرت مشكلة مع هذه الأقلية القومية. أما كتب الجغرافيا فقد ركزت على لا حدودية لإسرائيل، فحدود الوطن الإسرائيلي مغيبية، وترى التطلع التوسعي يحكم كافة المؤسسات والوزارات والهيئات في إسرائيل، وتنبع خطورته من أنه يصب في النهاية في المؤسسات التعليمية على اختلاف أنواعها ودرجاتها.

فهذه الكتب تعمل أولاً وأخيراً على غرس الإيمان بالوطن أو الأرض «اللا حدودية» وهي بذلك تقوم بدور فعال ورئيسي في تكوين الشخصية الإسرائيلية المؤمنة بالصهيونية وأهدافها، وما تمثله من عقيدة قامت عليها «الدولة» وانتحلت صفة التحرر الوطني وفقاً للأدبيات الصهيونية، بهذا الانتحال وضعت الصهيونية هدفها إعادة إقامة الدولة اليهودية للوطن اليهودي ويمتد هذا الوطن من فلسطين إلى سوريا وإلى لبنان وإلى مصر والأردن والعراق.

وهذه السموم تبتثها من خلال الكتب المدرسية الإسرائيلية، ومن خلال هذه المناهج الدراسية يتم تشكيل العقلية الإسرائيلية بحيث يصبح هذا التفكير ركناً أساسياً من مركزية إسرائيل^(٢).

قامت الدكتورة صفا عبد العال بترجمة وتحليل المضمون والتعليق على ١٦ كتاباً في مناهج الدراسات الاجتماعية (التاريخ والجغرافيا) المقررة في بداية الصف الثالث وحتى الصف السادس الابتدائي في كتابها «تربية العنصرية في المناهج الإسرائيلية».

من أخطر هذه الكتب كتاب: «أرض الوطن» جاء فيه صورة العربي مشوهة ويتم وصفه بصفات وضيعة «الثعبان، الأفعى، اللص، القذر، السفاح».

ويتضح ذلك في الفقرات التالية:

[تعليمات للحارس المستجد: وفقاً لقوانين الحراسة يلتزم الحارس بأن يسمع دبة النملة على الأرض، وأن يكون سلاحه على أهبة الاستعداد، وأن يسترق السمع لبيت الزواحف العربية].

(١) د. خليل السواحري- خليل سمعان: مرجع سابق.

(٢) د. خليل السواحري- خليل سمعان: مرجع سابق.

بمقاتل جماعة «الحارس» ضد الناهيين واللصوص والسفاحيين والمتآمرين العرب وقاموا بتأمين الطرق، ومنذ ذلك الحين فإن الكثير من المستوطنين يعيشون بكرامة وسط الساكنين].
 فهذا يربط بين سيرة العري بالعنوان والنهب والسلب، بهدف تشويه وتعريف الشخصية العريية، ومن تجاهل سافر ومتعمد للقيم والعادات والشموخ الذي تميز به العري على مراحل التاريخ، وفي المقابل يصف اليهود بالدفاعيين عن أرضهم^(١).
 ووصف مؤلف كتاب «أرض الله» العرب بأنهم قتلة ويصفهم بالهمجية والبربرية.. فجاء في إحدى فقراته:

[منذ الهياج الذي حدث عام ١٨٣٧، وتحطم السور المطوق لمدينة طبريا تفتشى بين أبناء المدينة عدم الأمل والخوف من العرب القتلة].
 وفي فقرة أخرى من نفس الكتاب:
 [الحارس يجب أن يتمرن على نباح الكلاب، وأن يميز بين النباح المبهم أو نباح اللصوص العرب].

أما كتاب بين «أسوار القدس» المقرر على الصف الخامس فيصف العرب بأنهم شحاذون طامعون في الحصول على الصدقات اليهودية^(٢) فجاء فيه:
 [الجياه انشغلوا بمسألة الحلوكا أى توزيع الصدقات على العرب:
 فى هذا التوقيت أرسل رئيس فرقة المدح الدينى من أبناء العرب وكثير من القراء المسلمين طالبين صدقة، فكان يرسل إليهم بما يسد احتياج كل منهم].
 على جانب آخر تعمد الكتب المدرسية على تصوير العرب دائما بأنهم مجرد عابري سبيل للتأكيد على عدم أحقيتهم فى الأرض فجاء فى كتاب «الحراس الأوائل»: المقرر على الصف الرابع^(٣):
 [أرسلنا للشوارع أفضل حراسنا، حراس يجيدون الكر والفر ورتبنا حجرة المعيشة من أجل العرب عابري السبيل].

لأن إسرائيل تفرط فى مزاعمها لذلك تقع أحيانا فى تناقض يقض هذه الأكاذيب، فبينما تؤكد بعض الكتب المقررة على تلاميذ المرحلة الابتدائية على أن «اليهود اشترى أرضهم وأقاموا عليها المستوطنات» نجد كتباً أخرى تؤكد على أن اليهود لم يستطيعوا أن يكسبوا من رزقهم من العمل بالتجارة لأنه كان نادرا، ولم تكن بها صناعة، بالإضافة إلى عدم وجود المزارعين بسبب رفض بيع الأراضى لليهود.

(١) د. خليل السواحري- خليل سمعان: مرجع سابق.

(٢) د. خليل السواحري- خليل سمعان: مرجع سابق.

(٣) د. خليل السواحري- خليل سمعان: مرجع سابق.

هذا التناقض الذي تكشفه الدكتوراة صفا في كتابها يؤكد إلى أى مدى تروج الدولة العبرية أكاذيبها فى غيبة ضمير عالمى مسرف فى غض النظر عن جرائمها، فى الوقت الذى يتميز بحدّة النظر الثاقبة فى التعامل مع أى محاولة لفضح هذه الأكاذيب وكشف الحقائق.

لكن يبدو أن لا أحد يهتم كثيرا بالبحث عما تزخر به مناهج التعليم الإسرائيلية من صور التشويه والإهانة والتجريح لكل ما هو عربى، فإسرائيل دائما بعيدة عن المساءلة، وميزان العدالة الدولى مصاب دائما بالخلل ويميل دائما لصالح الدولة العبرية.

فهل كلفت هذه الأصوات المتعالية التى توجه إلى العرب بأصابع الاتهام مطالبة إياهم بتقنية مناهجهم الدراسية من كل أشكال العنف، ودعوتهم لغرس بذور الحب والتسامح هل اطلعت هذه الأصوات عما تحويه الكتب المدرسية الإسرائيلية؟

بالطبع الكل يعلم... ولكن الكل أيضا يتعمد إخفاء الحقيقة والتستر على جرائم الدولة العبرية المحصنة دائما ضد المساءلة والعقاب.

فالأمثلة على عنصرية المناهج الإسرائيلية عديدة وواضحة وضوح الشمس، لكن يبدو أن عيون العدالة الدولية أصابها العمى.

من الابتدائى حتى الثانوى تلاحق الدولة العبرية أبنائها بمناهج تكرس العنصرية وتغرس بذور الحقد والكراهية والاستعلاء.

فى قصة «الماء والنار» المقررة على الصف الرابع الابتدائى جاء فيها أن صبيا يهوديا فى الثانية عشرة من عمره تطوع فى حرب التحرير ووقع فى الأسر، فأخذته العرب ووضعوا فوق جسده المتفجرات وأرسلوه ليتحول جسده إلى شظايا أمام أعين المقاتلين اليهود^(١).

أما قصة «المجد العظيم» المقررة على طلبة الثانوية فجاء فيها «العربى جبان يستطيع سبعة من الإسرائيليين أن يحتلوا بلده بأكمله بسهولة» وأن ثلاثين يهوديا فقط يستطيعون احتلال عكا. والعرب لا يحبون بلادهم، لو كان عرب فلسطين أحبوا أرضهم لما كان يوسع أحد طردهم. العربى خائن، ولا كرامة له، يتحمل الإهانات، وهو سبب خراب أرض فلسطين، مزعج، قذر، يخشى اليهود ويكرهون الحضارة^(٢).

وتتوالى السموم التى تنتشرها الدولة العبرية فى مناهجها الدراسية والتى تمتد إلى المراحل الثلاثة الابتدائية والإعدادية والثانوية، وتركز بشكل خاص على غرس أيديولوجية الاستيطان والتوسع والضم للأراضى العربية- الفلسطينية- السورية- اللبنانية ليصبح المشروع الاستيطانى

(١) أسطورة التكوين- أنطوان شلحت.

(٢) أسطورة التكوين- أنطوان شلحت- المرجع السابق.

الصهيوني الهادف إلى احتلال الأراضى العربية بعد اقتلاع السكان العرب الأصليين من أراضيهم وأماكن سكنهم وإبادة وتدمير الأشكال والأنماط السكنية العربية من مدن وقرى وتجمعات للبدو العرب فى أراضيهم، بغية طمس المعالم الحضارية العربية للبلاد، وجلب المستوطنين اليهود وتوطينهم فيها، فتقوم سلطات الاحتلال الإسرائيلى وفق منهجية ثابتة تعود إلى ذلك التاريخ الاستعمارى - الاستيطانى بوضع اليد والسيطرة الفعلية على كل ثروات وخيرات وكنوز الأراضى العربية^(١).

ويتضح ذلك من خلال عدد كبير من الكتب الدراسية منها «العمود الفقرى» للكاتب أبراهام فخممان والذى ركز على عدة نقاط أهمها^(٢):

١- ليس هناك أرض عربية يحظر إعطاؤها أو منحها للإسرائيليين.
٢- إعادة الحقوق الشرعية للعرب والفلسطينيين وفى مقدمتها حق العودة، يجب أن يقابلها طرح المبادئ القومية الصهيونية التى تشكل القاعدة الأساسية والتبرير الفعلى لأى مشروع يهدف إلى تحقيق تسوية سياسية فى الجولان والأراضى العربية المحتلة فى الضفة والقطاع المحتلين ومدينة القدس.

٣- لإسرائيل الحق فى ضم الأراضى الحيوية التى تم احتلالها فى المعارك الحربية على اعتبار أنها حرب وقائية (دفاعية) وعلى العدو أن يدرك أنه سيخسر حتى فى حالة هجومه على هذه المناطق.

٤- المخرج الوحيد للتوصل لأى حل إقليمى يتمثل بالوضع الراهن والوضع المتجسد على الأراضى وليس بالماضى التاريخى لهذه المنطقة.

٥- الرفض الكامل من جانب الحركات الاستيطانية لأى مطالب أساسية تدعو إلى تفكيك المستوطنات وإزالتها ونقل مستوطنيتها إلى مواقع أخرى، وأى تحريك أو إزاحة لأى تجميع استيطانى فى المنطقة يجب أن يتم على يد إسرائيل وانطلاقاً من معاييرها واعتباراتها.

٦- الرفض القاطع لأى اتهام لإسرائيل بأنها المسئولة عن مصير اللاجئين الفلسطينيين والتبعات والتداعيات التى تسببت بالضحايا المباشرة لحرب عام ١٩٤٨، مع التأكيد ثانية على رفض حق العودة للفلسطينيين.

٧- مصير إسرائيل لا يتوقف أو يقرر عند حدود مدينة القدس ومحيطها، لأن الحرب تشمل كل الأراضى كافة، وأن مصير إسرائيل الاستراتيجى (المدنى - والعسكرى) يرتبط بالعمود الفقرى

(١) التوجيهات العنصرية فى مناهج التعليم «خليل السواحى».

(٢) المرجع السابق.

الشرقي والذي يضم منطقة وادي الأردن بأسرها مع الضفة الغربية بأكملها والجولان، ذلك أن السكان العرب في أرض إسرائيل الغربية يزيد عددهم اليوم عن ثلاثة ملايين نسمة وغالبيتهم يتمركزون على طول هذا العمود الفقري الجبلي بغالبيتهم، إضافة إلى العرب الذين يعيشون في الخليل، وفي وادي الأردن وبئر سبيع وقطاع غزة، وهذه الواجهة الديموغرافية، لهذه المناطق باتت تشكل حزاماً ديموغرافياً خانقاً على الصعيدين السياسي والعسكري من شأنه أن يهدد قطاع الشاطئ الإسرائيلي الذي يعتبر العمود الفقري الغربي الضيق القصير والمعرض للأضرار^(١):

هذه المبادئ تترجمها الكتب بكل دقة، والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى ففي كتاب «أسطورة التثريد الصهيوني» تدفع الطالب لكي يخوض غمار الحرب ضد العدو العربي بكل ثقة وبكل إيمان بعدالة القضية التي يدافع عنها، من خلال ربط اليهود بأرض فلسطين، والتأكيد على الحق المطلق لشعب إسرائيل في العودة والاستيطان على أرض الآباء والأجداد مع إسقاط حق العرب التاريخي فيها^(٢).

فهناك تركيز دائم حول العربي أو البدوي أو المستأجر وليس العربي الفلسطيني، والذي تصفه كتب التعليم العبرية بأنه متخلف لا يستحق الأرض، ففي ظل إشرافه عليها لم يجر استغلالها، ولا يرجع السبب في ذلك لظروف التربة أو المناخ، وإنما إلى العقلية العربية ذاتها، فجاء في كتاب «أسطورة التثريد».

ماتت الأرض، أصبحت خالية من البشر تملؤها المستنقعات وكثبان الرمال المتحركة، وفي تلك المناطق استثمر المستوطنون اليهود عملهم وجهدهم وحصافتهم وحولوها إلى مستوطنات مزدهرة. ومن بين الكتب التي تحاول غرس هذه القيم «كتاب تحولات جذرية في جغرافيا الشرق الأوسط الذي أقر تدريسه لطلبة المدارس الثانوية والعليا والتعليم العالي منذ عام ٤٨، وهو تأليف البروفيسور أرنون سوفيير أستاذ الجغرافيا والتربية الوطنية بجامعة حيفا، وأعيد طباعته للمرة الخامسة عام ١٩٩٥.

ومن بين أهم هذه القيم^(٣):

١- الإيحاء بوجود ضم أراض ومناطق من الأقطار العربية إلى الدولة العبرية، فأكد المؤلف على أن ضم الأراضي العربية إلى الكيان الإسرائيلي هو إحقاق للحقوق التاريخية لليهود.

(١) خليل السواحري- المرجع السابق.

(٢) أسطورة التكوين- أنطوان شلحت.

(٣) أسطورة التكوين- أنطوان شلحت.

٢- اعتبار السيطرة على مصادر المياه العربية في الأقطار العربية المحاذية لها وضمان حصولها على كميات المياه الكافية من الأنهار العربية حق مكتسب ولا يجوز للأقطار العربية حرمان إسرائيل منه.

٣- ترسيخ هاجس العدوان العربي لدى كل حادثة تقابل التسامح الإسرائيلي.

٤- الطبيعة العدوانية للعرب تولد حالة استنفار دائم لدى إسرائيل والصهيونية، وخوفاً دائماً من قيام العرب بأى عمل من شأنه القضاء على إسرائيل، لذلك فالتحفز واليقظة والحذر حالات ملازمة للإسرائيلي في نظرته إلى العرب والإسلام وموقفه منها.

٥- شبكات الطرق والمواصلات بين الأقطار العربية المتجاورة وتعتبرها إسرائيل خطراً على كيانها ووسيلة لتطوير الاقتصاد العربي، وبالتالي فهذا شكل من أشكال تعزيز القوة والوحدة العربية في التصدي لإسرائيل.

٦- على العرب أن يذكروا إسرائيل بالخير، فاحتلالها لبعض أقطارهم جلب لهم النعمة لا النقمة.

٧- التنامي السكاني في الوطن العربي يشكل خطراً داهماً على إسرائيل، بالرغم من توقيع اتفاق السلام بين مصر وإسرائيل، فعلى إسرائيل أن تكون يقظة لما يجرى في سيناء من إقامة المشاريع الإسكانية.

٨- التركيز على وصف حالة التخلف والجهل لدى الفلاح العربي في مصر والعراق والأردن وسوريا ومختلف أقطار الوطن العربي، وهي محاولة مستمرة لتسوية صورة العربي والتحقيق من شأنه.

ولأن تزييف التاريخ وتزوير الحقائق هي هويتهم المفضلة، لذلك لم يكن غريباً أن تتفانى الدولة العبرية في إظهار نفسها في ثوب الضحية في محاولة للتهرب من تبعات جرائمها وتحميل مسئوليتها للعرب.

لذلك هم يكرسون دائماً صورة الضحية الدائمة وأنهم الشعب المستهدف من خلال الإسامية، ومن ثم تصوير ما يقترفونه من جرائم ضد الفلسطينيين والعرب كافة منذ عام ١٩٤٧ وحتى اللحظة عبر كل الجرائم وأعمال الهدم والقتل والتدمير والتصفيات التي تتم الآن، وتتفقد بدم بارد منذ اندلاع الانتفاضة الأولى عام ٨٧ وانتفاضة الأقصى بأن ما يجرى على الأرض مجرد أحداث عبارة لا ذنب لهم فيها، فمذبحة دير ياسين على سبيل المثال جاءت رداً على مضايفة وإزعاج العرب للمستوطنات اليهودية الواقعة غربى مدينة القدس، ومذبحة قبية عام ١٩٥٣ التي اقتترفها إربيل شارون جاءت رداً على التسلل الذى كان يقوم به أبناء فلسطين الذين طردوا من ديارهم عام ٤٨،

أما المسؤولية في تضخيم أخبار هذه المذبحة فهي تقع على عاتق الدعاية العربية التي ضخمت وبالغت في وصف الجريمة لإثارة حفيظة العرب من أجل الانتقام^(١).

ويسعى المؤرخون الإسرائيليون إلى تحميل الضحية مسؤولية ما حل بها من نكبات، وبيروءون القاتل والمعتدى في تبرير مذابحهم وتوسيع مجازرهم وصولاً إلى الهدف الأبعد، وهو الترانسفير وتهويد فلسطين تحت مسميات عدة انطلاقاً من منهجية الحرب وتدمير الآخر.

والدليل على ذلك ما ورد في كتاب تاريخ شعب إسرائيل في العصور الأخيرة - الحركة القومية - الجزء الثاني في وصف مذبحة دير ياسين ونتائجها وفقاً للمنحى الصهيوني.

ترتبط حملة نحشون - الحملة العسكرية التي قادتها الهاجانا ضد قرى القدس - بقضية ذات قيمة عسكرية جانبية جداً، ولكن كان لها تأثيرات شعبية واسعة النطاق على الجانب العربي، وقررت منظمتا (اتسل ولحى) احتلال القرية لأن القرى المحيطة بدير ياسين تركها أهلها وسكانها مسبقاً خشية البطش بهم ففي التاسع من نيسان عام ٤٨ هاجم ١٢٠ عنصراً من منظمتي (اتسل ولحى) القرية وأثناء الهجوم عليها بعد تطويقها وخلق جو مرعب فيها، قام اليهود بقتل (٢٤٥) شخصاً وتفجير منازل القرية فيما بعد فوق رؤس ساكنيها.

وركز كتاب «القرن العشرون» لإيال بارناقيه على تهميش دور إسرائيل واليهود في التسبب بخلق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وتحميل العرب أسباب مصائبهم فورد في الكتاب.

حرب الاستقلال حرب بدأت قبل إعلان الاستقلال رسمياً يوم ١٥ - ٥ - ١٩٤٨ على لسان دافيد بن جوريون لدى قراءته ما يسمى (وثيقة الاستقلال) من خلال الصراع الدموي بين عرب أرض إسرائيل (فلسطين) وبين الاستيطان العبري، فالعرب الذين تمتعوا بالتفوق الديموغرافي والطبوغرافي معاً، قطعوا مناطق في الجليل والنقب وحول القدس من المركز والسواحل، وهاجموا أحياء ومواقع يهودية فسى المدن المختلطة، بينما أخذت القوات اليهودية الأمور بجدية وقررت تغيير الصورة العسكرية، وهكذا فإن سكان البلاد العربية لانوا بالفرار الجماعي وهزم العربي في أرض إسرائيل^(٢).

هذا المثال يوضح إلى أى مدى يتم تشويه الحقائق، وأن سلاح التفوق العسكري الصهيوني وراءه دعم بريطاني والذي تم استخدامه لاحتلال فلسطين وطرد الفلسطينيين تنفيذاً لبرنامج التهويد الصهيوني، في حين افتقد الفلسطينيون للأسلحة التي وعدوا بها وجاء بعضها متأخراً، وغالبيتها فاسدة لا تصلح للاستخدام أو الصمود أمام الآلة العسكرية المتطورة^(٣).

(١) التوجيهات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

ويصل التزييف لأقصى حالاته عندما يتعرض بعض الكتاب ليس فقط إلى إنكار حق الشعب الفلسطيني في أرضهم وإنما إلى إنكار وجودهم فيها من الأساس. وهو ما ذهب إليه الكاتب الإسرائيلي أمنون حيفر في كتابه «مواضيع مركزية في تاريخ الشعب والدولة» والذي جاء في أحد فصوله والذي يحمل عنوان كيف تجيب عن السؤال بصدد حقوقنا التاريخية على الأرض:

[إن كل الأقوال بخصوص الحقوق التاريخية التي يدور حولها التقاسم مع العرب ما هي إلا تزييف للحقيقة وناجمة عن قلة الفهم وصحة المعرفة والدراية بتاريخ الاستيطان اليهودي على أرض إسرائيل، فليس صحيحاً أنه عندما أتينا هنا وجدنا البلاد مستوطنة من قبل شعب آخر أقام لعدة مئات من السنين.

فالحقيقة أننا عندما أتينا لم نلق أي شعب، وبشكل أكيد لم نلق أي شعب أقام مئات السنين، فلم يقيم العرب في أرض إسرائيل البتة ولم ينشئوا حكماً محلياً ولم يبنوا ثقافة أو لغة أو قومية متميزة^(١).

وفي سطور أخرى من نفس الكتاب:

[لقد حفرنا الآبار أما أعداؤنا فليس بمقدورهم إلا ردم الآبار وزيادة الفقر.

أما الترانسفير أو عمليات التهجير القسري فتبرره الكتب المدرسية الإسرائيلية بسبب تدهور الحالة الاجتماعية لدى الفلسطينيين وتدنى مستوى الثقافة لدى الجنود العرب، في حين كانت القوات الإسرائيلية تتمتع بتفوق عسكري^(٢).

وهذه الكتب دأبت على إنكار قضية اللاجئين الفلسطينيين ومسألة الشتات، وذلك للتهرب من الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في أرضه ووطنه.

إلى جانب ذلك تعمد مناهج التعليم الإسرائيلية إلى التأكيد على التطور الحضاري اليهودي مقابل الخراب والتخلف العربي، مع تغريب العالم العربي وشعوبه عن فلسطين، حيث تركز على أن المنطقة التي تقع فيها فلسطين التي يطلق عليها مصطلح (أرض إسرائيل) فينسبها لليهود معتبراً الأفكار العربية المحيطة بفلسطين دولاً أجنبية غريبة، كما اعتبروا أن فلسطين والجولان خاضعتان لمناخ إسرائيل في حدودها ولا تأثير للعوامل الجوية للأقطار العربية في مناخ فلسطين وكان فلسطين تقع في إقليم آخر^(٣).

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

ولا يفتهم بالطبع التأكيد على فضل اليهود منذ القدم على إعمار فلسطين أو إقامة المستوطنات فيبررون التوسع باعتباره الأسلوب الأمثل للرد على الغزاة الفلسطينيين والعرب- على حد زعمهم. فجاءت كتبهم لتؤكد أن أرض إسرائيل لم تكن بمثل هذه الوضعية إلا على أيدي الشعب اليهودى أما فى أيدي الآخرين، فكانت مجرد منطقة أو قطاع، ولم يكن لها وجه تاريخى إلا على أيدينا.

يبدو واضحاً أن الهدف الأساسى لتلك المناهج هو التأكيد على إنكار الوجود العربى وعلى أحقية اليهود فقط فى أرض فلسطين تعزيزاً للمقولة الصهيونية أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض.

وتولى المناهج التعليمية فى إسرائيل اهتماماً كبيراً بالقدس وتؤكد على ارتباطها الأصيل بالتاريخ اليهودى فى محاولة لنفى عروبتها وتهويدها.

من بين الكتب المدرسية التى تعضض هذا الاتجاه ما جاء فى كتاب «القدس مركز ثقافى ومركز روحانى للشعب اليهودى» المقرر على الصف الثالث الابتدائى^(١).

والذى جاء فيه «كل أورشليم المدينة المقدسة- عاصمة أبدية لإسرائيل كل حجر من أحجار أورشليم يروى قصصاً لسنوات وأجيال، بكل حجر نقوش تاريخية- الترقب، للنكبات، للسلام، للحرب وللنفى».

وجاء فى نفس الكتاب [أورشليم مدينة مقدسة، عاصمة إسرائيل الأبدية أورشليم ليست فقط نقطة على خريطة العالم، أورشليم فكرة ورمز، رمز للحياة وانتصارات الشعب اليهودى]^(٢).

أما كتاب «القدس لى ولك» فأكد على أن أورشليم القبلة المقدسة لليهود فجاء فيه [عندما يصلى اليهود تتجه أجسادهم نحو أورشليم: التابوت المقدس فى كل كنائس إسرائيل ويتجهون نحو جدارها وأيضاً يتجهون نحو أورشليم]^(٣).

لذلك تعد القدس من وجهة نظرهم وهو ما يتم تكريسها فى مناهجهم الدراسية عاصمة للدولة وهو ما يعد أمراً بديهياً.

يتضح ذلك فى سطور كتاب «القدس عاصمة الدولة»:

[أورشليم العاصمة بديهياً... يوجد فى أورشليم مؤسسات الحكم الخاصة بدولة إسرائيل المتضمنة مؤسسات اجتماعية ومؤسسات إدارية، وكذلك مؤسسات تعليم- ثقافة- خدمات.. إلخ].

(١) تربية العنصرية فى المناهج الإسرائيلية.

(٢) تربية العنصرية- مرجع سابق.

(٣) تربية العنصرية- مرجع سابق.

وأكد كتاب «القدس مركز ثقافي وروحاني للشعب اليهودي» المقرر في المدارس الابتدائية على أن أورشليم ليست فقط المدينة الكبيرة في إسرائيل والمركز الاقتصادي المهم للغاية المتمركزة في وسط الدولة، ولكن تنبع أهميتها العظيمة من أنها اختيرت عاصمة لدولة إسرائيل والمركز العالمي للشعب اليهودي.

أما نتيجة كل هذه المزاعم والأساطير فهي خلق أجيال عقيدتها العنصرية، فجرى في دماؤها نيران الحقد والكراهية.

أكبر دليل على ذلك جاء من خلال استطلاع رأى أجراه الخبير التربوي الإسرائيلي إدير كوهين- أستاذ التربية بجامعة حيفا على صفوف السنوات الرابعة والخامسة والسادسة بعدادس حيفا حول تداعيات سماع كلمة عربي وتوصل فيه النتائج التالية^(١):

١- أن مستوى الخوف من العربي عالٍ، ووصفه أغلبية الأطفال بأنه خاطف الأولاد، قاتل، مخرب، مجرم، يعيش في الصحراء، راعي بقر ذو سحنة مخيفة، في وجهة ندبة، قدر، نتن، تنبعث منه رائحة كريهة.

٢- تجريد شخصية العربي تجريداً سلبياً أى قولته في صورة معينة.

٣- الجهل التام بين أوساط الطلاب اليهود لشكل العربي وهيئته وهندامه وتاريخه وعاداته فبعض الطلاب قال: إن العرب أصحاب شعر أخضر، بينما أكد البعض الآخر «العرب لهم ذيول».

٤- ٩٠٪ من الطلاب أنكروا حقه في البلاد وآمنوا بأنه ينبغي قتلهم أو شنقهم أو ترحيلهم.

٥- قلة من الطلبة حاولوا شرح أسباب النزاع مع العرب بقدر مناسب من التفصيل بينما اكتفى الباقون بجمل مقتضبة ومبتسرة من سياق التاريخ منها: إنهم ينوون قتلنا وتشريدنا من البلاد، واحتلال مدننا وقذفنا إلى البحر.

٦- غالبية الطلاب الذين يرغبون في السلام يرون أن السلام يعني تسليم العرب بالسيادة الإسرائيلية على أرض إسرائيل الكاملة، بما في ذلك الضفة الغربية (قطاع غزة)^(٢).

إلى هذا الحد بلغ تغلغل الأفكار الصهيونية العنصرية في عقلية طلبة المدارس في إسرائيل، ويتضح ذلك بشكل أكبر حول إجاباتهم عن السؤال الخاص بالتداعيات التي يثيرها مجرد الاستماع إلى كلمة عربي وهو أحد الأسئلة التي تضمنها الاستطلاع الذي قام به البروفيسور كوهين.

(١) تربية العنصرية- مرجع سابق.

(٢) أنطوان شلحت- عنصرية التكوين.

[فرد أحد الطلبة بقوله: مجرم- وسخ- نتن- راعى بقر- مختطف- لص- غريب- فلاح- عامل بناء].

وكتب آخر: سحنته غريبة- عصبى المزاج- حاد- ذو شعر أخضر- شرير- مخبول ومتشرد.

وكتب ثالث: إنه عدو، خنزير، لص، مخبول، جلده غامق.

وكتب رابع: يجب أن نقتلهم وأن نجلسهم على كرسي كهربائى وأن نعلقهم على أعواد المشائق وأن نطردهم من البلاد- أنا كهانا^(١).

وحول السؤال الخاص بكتابة قصة أو وصف أو موضوع إنشاء عن لقاء مع عربى كتب أحد الطلاب ما يلى:

صعدت إلى الباص.. جلست. صعد إليه عربى، وجلس بمحاذاتى، فكرت فوراً أنه يجدر بى أن أنتقل إلى مقعد آخر، انتقلت، وانتقل العربى إلى المقعد ذاته، وفكرت أنه يخطط ضدى شيئاً ما، اهتم العربى بالنزول لكن السائق منعه وقام باستدعاء البوليس الذى ساقه إلى السجن، وكتب طالب آخر عندما سافرت إلى القدس جلس بمحاذاتى صبى عربى كان ينتعل حذاء ممزقاً ويرتدى ملابس رثة وكان لونه أسود وتنبعث منه رائحة كريهة، فقممت من جواره لأننى لا أريد أن أجلس بمحاذاته.

وكتب ثالث: سافرت فى الباص وفجأة جلس بمحاذاتى صبى عربى هممت أن أقوم فقال إنه سيمسنى بسوء، رأيت أن بحوزته سكيناً حاداً، فجأة وقفت على قدمى، فأخرج الصبى العربى السكين وحاول أن يقتلنى، أسقطته أرضاً وأخذت السكين وفجأة لمحت شيئاً مشبوهاً، فنقلت الأمر إلى السائق الذى اتصل فوراً بالبوليس، وجاء البوليس فطلبت منه أن يحقق مع الصبى العربى. وفى التحقيق كشف العربى عن مكان سكناه وقام البوليس بسجنه وأفراد عائلته لمدة عشر سنوات ثم أخلى سبيله^(٢).

الخوف والاحتقار والتعالى هى حصيلة ما زرعه المناهج العنصرية فى نفوس الطلبة الإسرائيليين، ينظرون دائماً للعرب على أنهم إرهابيون قتلة أقل تحضراً أو أكثر فقراً وتخلفاً.

أما أخطر الأفكار المتطرفة التى كشف عنها الاستطلاع فى الموقف من السلام حيث كتبت إحدى الطالبات رداً على السؤال الخاص به «حسب رأيى يستحيل أن نتوصل إلى سلام لأن العرب يكرهون اليهود».

(١) أنطوان شلحت- عنصرية التكوين- المرجع السابق.

(٢) أنطوان شلحت- عنصرية التكوين- المرجع السابق.

والملفت للنظر أن ١٠٪ فقط من الطلاب قالوا إنهم يريدون السلام، لكنهم استنكفوا عن تفصيل شروطه ومواصفاته وإمكانات تحقيقه.

أما رأى المناقض لذلك فهو ما عبر عنه أحد الطلاب بقوله :

حسب رأيي يجب طرد العرب من البلاد إذا استمروا في سفك دماء اليهود لمجرد كونهم يهوداً، يجب طرد عائلة العربى ومن ثم طرد قريته برمتها، العرب هم بغالبيتهم كارهون لنا ولا نستطيع التوصل إلى سلام معهم لأنهم يعتقدون أننا أخذنا أرضهم، أعتقد أنه يجب نقلهم إلى أية دولة ممكنة، لأن لهم عدة دول عربية ولنا فقط دولة واحدة.

الحل إذن من وجهة نظر طلابهم هو القضاء على العربى، بقتله أو شنقه أو فى أفضل الأحوال ترحيله، المذابح والجرائم والإبادة تصبح إذن مقبولة ومبررة ولا يستهجنها حتى طلاب مدارسهم، وفلسطين تصبح من وجهة نظرهم هى أرض يهودية لا حق للعرب فيها، لذلك يصبح من الطبيعى خروجهم منها، والحياة فى البلدان العربية الأخرى، فالفلسطينيون أمامهم بلاد عربية شتى، أما اليهود فلا وطن لهم إلا إسرائيل، هكذا يلقنون الطلاب فى إسرائيل - لتصبح أفكار كاهانا المتطرفة مقبولة فى عرف أبنائهم الذين يغرسون فى عقولهم العنصرية ويلقنونهم دروساً دائمة فى كيفية كره العرب.

وباعتراف البروفيسور اليهودى كوهين والذى جاء فى نهاية الاستطلاع يقول فيه : «إن الواقع الذى أظهره يحبطه، ويؤكد عجز الأساليب التربوية المتبعة فى المدارس اليهودية على أن تشكل بديلاً إنسانياً لهذا الأدب الفاسق - العنصرى - والذى يفرض على الأطفال اليهود واقعاً تربوياً يتريون فى ظله دون عيشهم طفولة ساذجة بريئة، فضلاً عن أنه ينمى فى نفوسهم مشاعر القلق والتوتر والخوف من المستقبل»^(١).

من يحتاج منا إذن إلى تنقية مناخه وكتبه الدراسية!؟

وهل ما طرحه كتب التعليم الإسرائيلية تتفق وثقافة السلام المزعومة!؟

هل تحترم الآخر وتقدر خصوصيته؟ هل تعترف بحقوقه بل وحتى آدميته؟ هل تدعو لنبيذ

الحقد والكراهية؟

الإجابة واضحة يفضحها واقع مؤلم قائم على استباحة الجرائم واغتصاب الحقوق العربية بالترويج لافتراءات وأكاذيب صهيونية تتفنن فى تزييف الحقائق وتحويل الجلاذ إلى ضحية!!



(١) أنطوان شلحت - عنصرية انتكوين - المرجع السابق.